HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal
ISSN: (e) 2709-0833
www.hnjournal.net
مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية
مجلة علمية محكمة
معامل التأثير العربي للعام 2020م = 0.44

عنوان البحث

المقدس في الميثولوجيا الشعبية لمجتمع الصحراء البيظاني

د. حسان حمون[1]

[1] باحث في علم الاجتماع.
البريد الالكتروني: hammoun1976@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/05/01م تاريخ القبول: 2021/04/25م

المستخلص

تعنى هذه الدراسة بالبحث في البنية الرمزية لمجتمع الصحراء البيظاني من خلال تفكيك وتحليل المنظومة الميثولوجية المتمثلة في القداسة، ورصد تجلياتها كما تبرز في ثقافة ووجدان هذا المجتمع الذي عاش في الطور البدوي لعدة قرون متوالية، لقد أدت قساوة الظروف الطبيعية بالمجال الصحراوي إلى نحث وتشكيل نظام اجتماعي يسود فيه منطق الصراع الدائم على الموارد المادية القليلة، مما أثر على شكل العلاقات بين المكونات والفئات الاجتماعية وطبع سيرورة التفاعلات بينها، فكانت الميثولوجيا الشعبية وما ارتبط بها من مفاهيم البركة، الولاية، الصلاح، الشرف... أداة لتصحيح وتعديل اختلالات النظام الاجتماعي العام وإعادة التوازن داخل البنيات الاجتماعية للمجتمع البيظاني، سواء تجسد ذلك في مرويات الأصول وبدايات تشكل الهوية القبلية أو من خلال نزعات الولائية والتبرك التي تضفي مسحات القداسة على الأولياء والصلحاء.

الكلمات المفتاحية: الميثولوجيا الشعبية، المقدس، المدنس، الولي الصالح، البركة، الأصل.

RESEARCH ARTICLE

THE SACRED IN THE POPULAR MYTHOLOGY OF THE SAHRAOUI "BIDHANI" COMMUNITY

Dr. HASSAN HAMMOUN

[1] Researcher in sociology.
Email : hammoun1976@gmail.com

Published at 01/05/2021 **Accepted at 25/04/2021**

Abstract

This study aims at scrutinizing the social and cultural symbolic structure of the Sahraoui "Bidhani" community. More accurately, it seeks to examine the notion of holiness within this community to critically analyse and deconstruct its ontological system. Equally important, it intends to highlight the many manifestations and aspects of this system as they are reflected in the culture and conscience of this community which had been following a nomadic style of living for centuries. The Sahraoui harsh environmental conditions have constructed a social system based on perpetual struggle and quarrel over the few available sources of wealth. This has shaped and influenced the relationship(s) between the different social groups of the "Bidhani" community. And it is exactly this dynamic which had allowed popular mythology and the many notions that are attributed to it, such as charismatic divine grace, righteousness, and dignity, to function as a power that can both address the imbalances of the Sahraoui social order and restore stability among its structure(s) either by fostering the narratives chronicling the initiatory phases of tribal identity construction or by stressing the practices of bless-seeking from holy men and virtuous saints.

Key Words: Popular Mythology, Sacred, Profane, Saint, Blessing, Origin

مقدمة

تشكل الابعاد الرمزية محددا دالا للمجتمعات التقليدية، تلك التي تضع حدودا وترسم خطوطا تؤطر من خلالها شبكة تصوراتها ومنطلقاتها التي تتعلق بما هو خاص وذاتي من جهة، وبما يعكس نظرتها للآخر وللعالم من جهة أخرى، إن المقدس وما يرتبط به من معان وأشكال عجائبية وغرائبية هو بالنسبة للإنسان في المجتمع ما قبل الصناعي/الرأسمالي عنصر تكامل بينه وبين الطبيعة/البيئة التي يستقي منها مقومات وجوده وبقائه، تحضر البنية الرمزية إذن بوصفها اكتمالا وتشبعا يملأ الفراغ الذي قد يحدثه غياب العلم/المعرفة كآليات مفسرة للتساؤلات الوجودية حول الحياة والفناء والاستمرارية...

يزخر الحقل الرمزي العجائبي للمجتمع الصحراوي البيظاني بالمفاهيم والتصورات الدالة والمكثفة، والتي تترجم غنى الثقافة الحسانية في دلالتها الأنثروبولوجية والرمزية كتعبير عن واقع الرغبة في البقاء في ظل بيئة بدوية شحيحة في مواردها المادية والانتاجية ومحكومة بمنطق الصراع المحتمل الذي قذ يفضي إلى الهلاك والفناء، لقد تولد عن هذا الغنى والثراء الرمزي إيديولوجيا المقدس التي برزت كإيديولوجيا منافسة تتقوى بها الفئات الهشة (بالمعنى الحربي) لمواجهة الخصوم الأقوياء، وبذلك ترتسم محددات البنية الرمزية في المجال البيظاني باعتبارها تجليا للامنظور الذي دأبت على انتاجه فئة الزوايا لخلق مكانة اجتماعية وترسيخها بتثبيت جذورها في النظام الاجتماعي العام.

- كيف يتجلى المقدس في ميثولوجيا المجال الصحراوي البيظاني؟
- كيف تعبر الولاية والصلاح والبركة والأصل الشريف وغيرها عن واقع التنافس من أجل تأسيس الهوية القبلية وانتزاع المكانة الاجتماعية والسياسية؟

أولا: المجال الصحراوي البيظاني، الحدود والتسمية:

إن مقاربة المجال الصحراوي البيظاني تستدعي الانتباه الى المحددات والعوامل التي شكلت ملامحه الخاصة وصنعت فرادته بين المجالات الأخرى، نقصد بذلك المحدد الطبيعي، التاريخي والاثني، وبناء عليه يمكن تقسيم المجال المدروس إلى مكونين: المكون الأول يشمل الجزء الأكبر وهو المجال المعروف تاريخيا بأرض البيظان، ولفظ البيظان "مصطلح شائع في كتب الجغرافيين العرب منذ القرن 4هـ/10م لوصف صنهاجة الصحراء، مقابل شعب السودان الواقع جنوبا، ثم أصبح يطلق على الناطقين بالحسانية منذ القرن 11هـ/17م؛ لكنه ظل مقصورا على النبلاء من العرب «المحاربون» والزْوايا «أهل الخطط الدينية» ثم تطور اللفظ ليطلق على كل متحدث بالحسانية بغض النظر عن لونه ومهنته مع بقاء الاستخدام الأصلي في الاستعمالات الخاصة داخل نخبة المجتمع"[1]. هذه السمة العرقية التي تضفي على المجال خصوصيته وتميزه عن ساكنة المناطق المجاورة كالسودان، أشار إليها البكري في القرن 5هـ/11م[2] والحسن الوزان في القرن 10هـ/17م[3].

[1]. حماه الله ولد السالم، "تاريخ بلاد شنقيطي"، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ص: 19.

[2]. أبو عبيد الله البكري، "المسالك والممالك"، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003، ص: 345.

أما التحديد الجغرافي لتراب البيظان، فيمتد ما بين نهر السنيغال جنوبا إلى حدود بلاد سوس شمالا والمحيط الأطلسي غربا والحدود المالية شرقا.

أخذ المجال طيلة تاريخه أسماء عديدة تبعا للسياق السياسي والاجتماعي الذي ميز كل مرحلة تاريخية، فسمي «بلاد التكرور» و«بلاد السيبة» و « صحراء الملثمين» ... إن توالي مجموعة من الأسماء للمجال يعكس التطور التاريخي الذي عرفته الصحراء منذ المرابطين وصولا الى مرحلة الدولة الوطنية خلال النصف الثاني من القرن العشرين، حيث أخذ كل اسم حمولة عبر من خلالها عن مرحلة تاريخية مرت عبرها الصحراء وترجم مقومات هذه الحقبة، وهو ما يتجلى في تسمية المجال باسم "صحراء الملثمين" خلال الحقبة المرابطية التي اتسمت بهيمنة قبائل صنهاجة، ليحمل ابتداء من القرن 17 م اسم "بلاد المغافرة" مع هيمنة بني معقل، ثم "بلاد البيظان" والتي اتسعت لتضم منطقتين الكبلة أي موريتانيا حاليا وبلاد الساحل وهي الصحراء الأطلسية، وتمثل المكون الثاني من مجال دراستنا وتضم مناطق وادنون، درعة، الساقية الحمراء ووادي الذهب وتصم ساكنة مكونة من قبائل متعددة الأصول تنظم حسب "بول مارتي" في ثلاثة اتحاديات قبلية كبرى هي: تكنة، الرقيبات وأولاد دليم[4].

ثانيا: دلالات مفهوم المقدس:

عادة ما يتم تحديد مفهوم ما انطلاقا من المفهمة conceptualisation أو الدراسة المفهومية للتصورات والأفكار الأولية والتي "يتداخل فيها ما هو لساني (اللغة) وما هو إشكالي (النظرية) وما هو إجرائي (الواقع)"[5]؛ لكن البحث في مفهوم المقدس يطرح إشكالا مفهوميا مبدئيا يتجلى في كون ماهية المقدس وطبيعته تجعله خارج نطاق الواقع الحسي والمجال الدنيوي وبالتالي فإن إخضاع المقدس للدراسة التحليلية "يفقده قدسيته مما يعد شكلا من أشكال انتهاك المحرم"[6].

هذه الطبيعة المفارقة والمتعالية للمقدس جعلت إميل دوركايم Emile Durkheim يتحدث عن عالمين متناقضين عالم المقدس المتماثل مع الإلهي، وعالم المدنس Le profane المحايث لحياة الجماعة الدنيوية، وبسبب سماته الخالصة والمتجانسة المتعارضة لا يستطيع التعايش مع ما يعارضه ويهدمه سوى بكيفية مفارقة ومتوازية[7].

إذا كان المدنس ملاصق لما هو دنيوي، فإنه يحيل بالضرورة على ما هو نجس ومؤقت وجزئي وعارض...

---

[3]. حسن الوزان، "وصف إفريقيا"، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، 1983، ص: 248.

[4] – Paul Marty, « Les tribus de la haut Mauritanie », Paris, 1915, p : 3.

[5]. يمكن الرجوع في هذا الإطار إلى:

Michel Tozzi Etal « apprendre à philosopher dans les lycées d'aujourd'hui », Hachette, 1992, pp : 57-58.

[6]– Laura-Lévi Makarius « Le sacré et la violation des interdits », Payot, Paris, 1974, Préface, p : 8.

[7] – Emile Durkheim « Les formes élémentaires de la vie religieuse », Livres de poche, Paris, 1991, p : 538/539.

بينما يحيل المقدس في سياق تعارضه على ما هو طاهر وخالص ودائم وكامل وأصلي... يدل كل هذا على أن تعريف المقدس يتحقق بالسؤال عن المدنس لأن الاستفسار عن المدنس يتحول ضمنيا إلى استنفار عن المقدس.

لا يختلف روجي كايوا Roger Caillois عن إميل دوركايم في اعتبار التعارض والتوازي بين المقدس والمدنس، لكنه يضيف خاصيات أخرى تحيل على التناقض والتكامل في نفس الوقت، فالمقدس السماوي يتشكل من قوى وطاقات داخلية في حين أن الدنيوي والمدنس يتشكل من أشياء مادية، وهما ضروريان معا لاستمرار الحياة وتطورها[8].

هكذا سيصبح المقدس خاصية مرادفة للأشياء والمواضيع المادية والدنيوية كالأدوات المستعملة في الطقوس والشعائر والأمكنة كالقبور والأضرحة والأزمنة كالأعياد والمواسم... لا يطرح المقدس مشكلة تعريفه فقط، بل مشكلة تعريف ما يفترض أنه معه ومضاد له، "الأمر الذي يثير السؤال عن فعالية المنهجية الوضعية التي تفترض استقلالية عن موضوعها، بينما هي في واقع الأمر متورطة في رسم معالم مقدس محكوم بمنطق ذاتها الثقافية ومرجعياتها الدينية"[9].

في هذا الإطار ستعمل دراسات بعض الباحثين على تجاوز «إبهامية» المقدس والإسقاطات التي جعلت أصحاب النزعة الوضعية كإميل دوركايم يحللون الظواهر التي تدخل في نطاق القدسية انطلاقا من مرجعية ثقافية معينة كاليهودية والنصرانية وإعادة صياغة جدلية المقدس من جدلية مفارقة إلى جدلية محايثة.

يعتبر مرسيا الياد Mircéa Eliade من الذين عملوا على تعويض الأطروحة الوضعية بأخرى ذات نفس فينومينولوجي تقوم على الإنصات لتجربة المؤمن في انفتاحاتها الدلالية والرمزية[10]؛ وتبرز هذه الانفتاحية في مفهوم التجلي لدى مرسيا إلياد من حيث هو تجلٍ على الكيفية التي تتصور بها المجتمعات التقليدية العالم المنشطر إلى جزء مقدس (عالم الإنسان) وجزء مدنس (عالم الجن والشياطين)، فالمقدس "حينما تجلى في المكان انكشف الواقع وحدث العالم"[11].

إن الأمر هنا يتعلق بعملية تواصلية قائمة بين المقدس والدنيوي، مما جعل الأول في نظر ميرسيا إلياد متمظهر في جميع الأمكنة والأزمنة، وبالتالي إمكانية العبور إليه و"العيش في الزمن الأول بفضل الفعل الطقوسي أو فعل الحكي القدسي"[12].

يفضي بنا هذا إلى القول إن جدلية المقدس والمدنس تجعل الأول منفتحا مثلما أن الدنيوي منفتح، فتصبح القداسة صفات يضفيها البشر على الشيء المقدس، بمعنى أن الشيء لا يستمد قداسته من ذاته، بل يرتديها على

---

[8] – Roger Caillois, « L'homme et le Sacré », Gallimard, 1956, p : 80.

[9]. نور الدين الزاهي، "المقدس والمجتمع"، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2011، ص ص:35/34.

[10]. نفسه، ص:42.

[11] – Mircéa Eliade « Le sacré et le profane » Gallimard, 1965, p : 57.

[12] – Mircéa Eliade « Aspects du Mythe », Gallimard, 1963. p : 176.

نحو ما يراه الفرد والجماعة، يقول مرسيا إلياد في هذا الصدد: "كل ما استعان به الإنسان وشعر به وما صادفه وأحبه حوله إلى شيء ذي قدسية"[13]، فيحضر في هذه الحالة المكان المقدس والزمان المقدس والأشياء المقدسة، ويصبح كل هذا مؤسطرا أي متجليا من خلال أسطورة أو أساطير تحكيه وتجعله وتعيد صياغة تاريخيته مع الإشارة إلى أنها تاريخية مغلقة ومكثفة بالأحداث الخارقة وغير المنطقية، لكنها مقبولة ومصانة اجتماعيا، وعليه تكون العلاقة بين المقدس والأسطورة علاقة وطيدة ومتينة ومتماهية انطلاقا من كون الأسطورة حكاية مقدسة أو حكاية لشيء أو قصة مقدسة، "إنها تروي حدثا حصل في الزمن الأول، زمن البدايات الأسطورية، وبمعنى آخر، تحكي الأسطورة كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود بفضل صنع كائنات خارقة مهما يكن شكلها بشري أو مؤسسة، إنها قصة خلق"[14]، لذلك لا تكاد تنفك كرامات الأولياء وخوارقهم عن محكيات أسطورية تجري على لسانها تجليات هذه الخوارق وتتعزز من خلال مضامينها الداخلية عجائبيتها.

ومثلما ما تعمل الأسطورة على دوام تداولية المقدس وتشكيل معماره الغرائبي وتصون مكوناته المتعالية والمفارقة، تقوم الطقوس والشعائر بوظيفة لا تقل أهمية، إنها الكيفية التي تجسد المقدس وتمنحه حضوره المادي وتنظم العلاقة التعارضية ـ التكاملية بينه وبين المدنس عبر مجموعة أفعال وكرامات وأقوال مرئية منتظمة ودالة[15].

تنقسم الطقوس المرتبطة بالمقدس إلى ثلاثة أنواع: طقوس قولية تتمثل في الصلاة والقراءة والأقوال المرافقة لطقوس العلاج بالسحر والأدعية... طقوس حركية كما تظهر في أنواع الجذب أو الرقص، وطقوس بصرية مثل الوشم والطلسمان، "يمكن أن نسمي علاقات الناس بالقوى – فوق طبيعية– والتي يعبر عنها بالصلاة والتضحية والتبجيل طقسا وديانة وذل، لأجل تمييزها عن السحر الذي هو عبارة عن إكراهات تمارس بأدوات سحرية"[16].

كما ترتبط الطقوس بالزيارة وهي الحج الذي ينجزه الأتباع والزوار للشيخ أو الولي طلبا لعونه وبركته حاملين معهم الهدايا والعطايا منها الكبيرة (ذبيحة، أغطية...) والصغيرة (شموع، نقود...)، كما أن الزيارة في حد ذاتها تتوزع بين زيارة كبيرة وأخرى صغيرة، أما الصغيرة تكون إما فردية أو أسرية وتعني زيارة ضريح الولي الصالح مثلما قد تحدث في أي وقت من أوقات السنة، أما الزيارة الكبيرة فهي ما يسمى بالموسم وتتم في زمن محدد[17]، ويمكن اعتبار الموسم تظاهرة طقوسية جماعية يشترك فيها الأتباع والزوار وكذا أحفاد الشيخ.

بناء على ما سبق، يمكن النظر إلى الطقوس بوصفها بنيات رمزية يتجلى بواسطتها وعبر مضامينها وقواعدها المقدس، كما أنها تمثل فضاء لربط الصلة والتواصل مع عوالم ظاهرة أو خفية، وتشكل الممارسة والتعبيرات المرافقة لها، أساس هذه الرابطة التواصلية.

---

13 – Mircéa Eliade « Traite de l'histoire des religions » Payot, Paris, 1964, p : 24.

14 – Mircéa Eliade « Aspects du Mythe» Op.cit, p : 15.

15 – Edmond Doutté « Magie et religion dans l'Afrique du Nord », Alger, 1909, p : 598.

16 – Max Weber « Economie et Société », Plon, Tom 2, 1995, p : 172.

17. أنظر: نور الدين الزاهي، مرجع سابق، ص: 87/86.

ثالثا: قداسة الأصول في الصحراء من خلال مرويات التأسيس:

إهتمت الدراسات الأنتروبولوجية التي جعلت من المجتمعات البدائية منطلقا لها بالمفاهيم المرتبطة بالقرابة والنسب مع التركيز على الحضور الفاعل لهذه المفاهيم والمصطلحات في النظام الاجتماعي، وآليات اشتغال مكوناته الداخلية وسيرورة التاريخ المحلي لهذه المجتمعات، ويشكل الجانب المتعلق بمرويات التأسيس والمخيال الاجتماعي المرتبط بالأصول التي تمنحها القبائل البيظانية قداسة لا تخلو من بطولات ملحمية وخوارق وكرامات وعجائبيات، مادة خصبة للبحث الأنثروبولوجي لفهم حدود العلاقة بين التاريخ والأسطورة، وكذا تمظهرات البنية الرمزية في الوعي الجمعي وأدوارها في استمرار الكيانات الاجتماعي، في هذا الصدد يقول كلود ليڤي ستراوس Claude Lévi-Strauss عن الأسطورة أنها "حكاية غرائبية عن تاريخ أصول مجموعة أفراد يبررون بها أصولهم"[18].

لم يشكل المجتمع البيظاني استثناء في شيوع ظاهرة «قداسة الأصول» والاعتقاد ببركة الأولياء وكراماتهم، لذلك تزخر الذاكرة الشعبية بالمرويات التي تحكي عن المؤسسين الأوائل للمجموعات القبلية، ولا تكاد تخلو من قصص تحكي بطولاتهم وقدراتهم الخارقة فضلا عن صلاحهم وورعهم، "فمرويات التأسيس تنتظم وفق تصورات أسطورية، وتحاول أن تبتعد عن واقع الشخصيات (الأولياء والصلحاء) وتفاصيل حياتهم لتستهدف وتتوقف عند حدود كراماتهم وبركتهم وخوارقهم"[19].

إن الهوية الجينيالوجية القبلية بالصحراء تستقي مشروعيتها من الدلالات الرمزية التي تتضمنها مرويات الأصول، كما أن امتلاك المجال الترابي واستعداد القوى الداخلية للكيان القبلي لصون المجال والدفاع عنه يجد تبريره في الآثار والأفعال المنسوبة للشخصيات المؤسسة، والتي كان لها الدور في إضفاء مسحة أسطورية على المكان أصبح معها مكانا مقدسا تحوم حوله قوى غيبية مدافعة عنه.

سنحاول ضمن هذا الإطار الوقوف عند بعض النماذج لهذه المرويات بالمجال موضوع البحث مع إبراز أوجه القداسة وأشكال السلوك الملحمي التي يتم سحبها على أبطالها وأثر ذلك على الوعي الجمعي للكيانات القبلية.

مما لاشك فيه أن تشكل ملامح المجتمع البيضاني خلال القرون الثلاث الماضية يجد تفسيره في التفاعلات التي عرفها المجال بين مختلف مكوناته، كما أن للعوامل الخارجية دورها أيضا، وعليه فإن مضامين ومتون مرويات الأصول هي نتاج هذه التجربة الخالصة والخاصة بمجال البيضان؛ في هذا الصدد أورد الأنثروبولوجي الإسباني خوليو كاروبروخا في دراسته المونوغرافية بعضاً من تمثلات الفاعلين القبليين حول أصولهم وحول النفحات الأسطورية التي ارتبطت بنواتهم القبلية الأولى، هذه الإفادات التي استقاها الباحث في مقابلاته مع مبحوثيه ببعض مدن الصحراء وبواديها لا تعكس فقط حالة «اللامعقولية التاريخية» لكنها تدخل في نطاق التاريخ

---

[18] – Claude Lévi-Strauss « Anthropologie Structurale deux » Plon Paris, 1958, p :231.

[19]. أناس بن الشيخ وعبد الحميد فائز، "قداسة الأصول بغرب الصحراء" ضمن كتاب "بيير بونت: أنثروبولوجيا مجتمع غرب الصحراء"، مركز الدراسات الصحراوية، الرباط، 2017، ص 192.

الملحمي الذي يميز بشكل خاص المجتمعات الرعوية، والتي تشكل البنية الرمزية وتحتل فيه مكانا جوهريا في البنية الاجتماعية العامة لهذه المجتمعات وهي البنية التي لازالت تفعل فعلها في الشعور الجمعي للكيانات القبلية حتى في عصر التحديث والعصرنة.

ففي بعض هذه المرويات الشفوية ما جاء بخصوص الجد المؤسس لقبيلة العروسيين سيد أحمد لعروسي والذي عاش زمنا من حياته بمدينة مراكش قبل أن يحل بالصحراء، وهو الحلول الذي لا يخلو من عجائبية، فهذا الولي الصالح ترى فيه الروايات متسولا ذا كرامات يجوب أزقة المدينة حتى ترصدته أعين جواسيس السلطان وهو يسحب الماء من بئر فيأتي الدلو تارة مليئة بالشحم وتارة بالفضة، فأخبروا السلطان الذي أمر بسجنه، لكنه استطاع الفرار من السجن بمساعدة أحد الأولياء الصالحين وهو سيدي رحال البودالي، حيث سحبه إلى السماء من حزام سرواله وراح طائرا في الهواء إلى أن وصل منطقة الساقية الحمراء، فوقع سيد أحمد لعروسي فوق هضبة صغيرة، وبقي أثر يديه ورجليه وكذا ورده على الأرض[20].

تتضمن هذه الرواية أبعادا أسطورية واضحة تعزز من غرائبيتها، وبالتالي فهي ذات رمزية كثيفة، فالشيخ هنا ولي صالح له كرامات خارقة وقادر على تجاوز كل العوائق التي يمكنها الوقوف بوجهه بما في ذلك السجن، تحتفظ الكثير من القبائل في ذاكرتها الشعبية "بعلاقة ملتبسة مع السلاطين، فمرويات العديد من القبائل تؤكد رمزيا فيما يشبه الأساطير أن جميع مؤسسي قبائل الصحراء هم صلحاء إما فروا من قبضة السلطان أو تعاقدوا معه أن يشغلوا فضاء جنوب الصحراء"[21]، كما أن الولي قادم من الشمال وهي أسطورة مشتركة تقريبا بين جميع المرويات التأسيسية وهي مسألة ليست مصادفة لأن الشمال بلاد الأولياء والصلحاء، نقطة أخرى هامة في هذه الرواية وهي مكان نزول الولي منطقة الساقية الحمراء، مما يجسد نوعا من الأهمية والقداسة لهذا المكان ويبرز ذلك أكثر بالنظر إلا أن غالبية المؤسسين الذين حضروا إلى المجال استوطنوا هذا الجزء منه؛ يدافع الأحفاد من خلال هذه الرواية على أصولهم النبيلة بانتمائهم إلى خط النسب المتوارث من الجد المؤسس، إننا في إطار إحياء للنزعة العروبية كجزء من مخلفات الصراع المعقلي الصنهاجي أواخر القرن 17م.

من جهة أخرى، يأخذ مفهوم "التراب" حمولة رمزية في الرواية، لا بوصفه مكاناً لتجمع فروع وأحفاد المؤسس بل فضاء مقدسا ومباركاً خاصاً يمنح لمرتاديه وقاطنيه خيرا وفيراً وعوناً في مواجهة الخصوم الراغبين في انتهاكه ونهب ما فيه من ممتلكات.

في مروية أخرى وهي تلك التي تهم مؤسس قبيلة أولاد أبي السباع "نجد هذا الولي الصالح «سبعا» عند بعضهم وشريفا عند آخرين، يدعى سيدي عامر أو أحمد الذي استغاث بالله لما هاجمه أهل الصحراء سعيا إلى الاستيلاء على ماشيته، فتحولت شياهه وماعزه إلى سباع راحت بفضل تلك الاستغاثة تصدر هديرا، وإن كانت لا

[20]. انظر: خوليو كاربوروخا، "دراسات صحراوية"، ترجمة احمد صابر، مركز الدراسات الصحراوية، 2015،ص: 322|323.

[2121] – Tony Hodges « Sahara Occidental, Origines et enjeux d'une guerre du désert, Traduit de l'anglais par Dominique Koglo, L'Harmattan, 1983, p :44.

تلحق الأذى بأي أحد"[22]، لا تتضمن هذه الرواية الأبعاد الميثولوجية نفسها التي في الرواية السابقة كأسطورة القادم من بعيد أو أسطورة المكان وإن كان وصول هذا الشيخ المؤسس إلى الصحراء وافدا إليها من الشمال، كما أن انتجاع القبيلة في أماكن متعددة لم يستدعي معه الأمر تحديد التراب القبلي ورسم حدوده، لكن البعد الثاوي وراء الرواية يتجلى في كرامة الشيخ وقدرته على الأدية في جانبها الرمزي وهي نموذج من المقاومة التي تلجأ إليها الشخصيات الدينية في مواجهة قوة وهيمنة المحاربين الذين بسطوا نفوذهم على المجال، وفرضوا الغرامات على قبائله بما في ذلك قبائل الزوايا، وهو موضوع سنتطرق له في المبحث الموالي حول بركة الأولياء والصلحاء ودورها في الحماية من بطش قبائل حسان، "إن مؤسس النسب هنا شخص ذو بركة وبطل يأتي بالحضارة أو تنسب إليه أقوال وأفعال تبرز تصرفات وانتظارات القبيلة"[23].

تأتي الدلالات الرمزية التي ترد في سياق من الكرامات والخوارق لتحقيق أهداف وأغراض دينية وسياسية، فغالبية المرويات تذهب إلى التأكيد على الأصل العربي والشريف للجد الجامع وتقديمه كزعيم روحي، وبالتالي فهي "تحاول تأسيس تاريخ محلي يزاوج ما بين الاحداث التاريخية كما حدثت خلال فترات معينة وبين المخيال الاجتماعي المحلي المؤسس على التداول الأسطوري"[24].

تستمد قداسة الأصول شرعيتها من ميثولوجيا شعبية موروثة أدت إلى تشكل نسق قيمي يتآكل فيه الحدث التاريخي لصالح الحدث الأسطوري، هذه الميثولوجيا الشعبية يتردد صداها في المرويات التأسيسية التي تمنح الجد المؤسس صفة القدسية ما يضفي وحدة اجتماعية وسياسية على الكيان القبلي، ومنه يمكن القول أن الميثولوجيا الشعبية تمارس أدوارا هامة في سلاسل النسب والانتماء الجينيالوجي بالمجال البيضاني، "وقد حرصت كل قبيلة من قبائل الصحراء على إثبات مشروعيتها التاريخية من خلال إثبات الانتماء الجينالوجي لمكون عريق في أصوله وتاريخه الأمر الذي يؤكد الحضور المكثف لمفهوم التاريخ في التنافس السياسي والتدافع الاجتماعي وبلورة تراتبية مجتمع الصحراء، إضافة إلى استحضار أهميته في تشكيل الأنساق الفكرية والتنظيمات الاجتماعية التي أبدعها مجتمع الصحراء كنتيجة لتجربة حياتية في سياق مختلف"[25].

الأساس الأسطوري والغرائبي لمرويات الأصول ومحكيات سير الصلحاء وأصحاب الكرامات تجعلها مستعصية على التفسير التاريخي، خصوصا في عملية بناء الأحداث وتسلسلها المنطقي، وهذا ما يجعل التحليل الأنثروبولوجي يحيد عن الفهم العلمي في تناوله لمتون هذه المرويات خارج سياقها الاجتماعي والسياسي الذي شكل شرط تأليفها؛ لقد جاءت في نظرنا كإفراز للواقع وتعبيرا عن طموحات ونزوعات مؤلفيها ورواتها على حد السواء.

---

[22]. خوليو كاروبروخا، مرجع سابق، ص:324.

[23]. خوليو كاروبروخا، مرجع سابق، ص: 317.

[24]. أناس بن الشيخ و عبد الحميد فائز، "قداسة الأصول»، مرجع سابق، ص: 195

[25]. محمد بوزنكاض، "التأريخ وقضايا الكتابة التاريخية بالصحراء الأطلنتية"، نشر مركز الدراسات والأبحاث (مشاريع) 2012.، ص: 94/93.

رابعا: بركة الأولياء والصلحاء في الميثولوجيا البيظانية:

يبنى كل مجتمع ثقافته الرمزية والدينية بناء على محددات عديدة، يدخل فيها في المقام الأول طبيعة المجتمع نفسه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكذا الثقافية من نمط العيش وحجم انتشار المعرفة العالمة والشفوية فضلا عن القدرات والإمكانيات المادية وشكل العلاقات الاجتماعية السائدة ثم نوعية السلطة السياسية وأشكال التنظيم السياسي والاجتماعي.

ولأن المجتمع البيضاني عاش ردحا من الزمن في طور البداوة، فإن بنياته الرمزية والدينية هي انعكاس لهذه الطبيعة البدوية من جهة ولمبادئ وتعاليم الدين الإسلامي من جهة أخرى، في هذا الإطار فإن حضور الأولياء والصلحاء وأصحاب الخوارق والكرامات في الوعي الرمزي للإنسان البيضاني حضور لافت، كما أن المجتمعات الرعوية بصفة عامة محكومة بهذا النوع من التفكير الذي يحدد شكل العلاقة التي يقيمها هذا المجتمع مع العالم المحيط به وكذا نظرته للكون.

الولي في مخيال الجماعة هو شخص متميز له حضوره الديني، ذو كرامات يحظى بكل التقدير والاحترام وأحيانا بالتقديس، فهو من مشايخ الصوفية أو معلمي القرآن أو بعض الدعاة من الزهاد المتنقلين وما شابه ذلك[26]، كما أن الأصل الشريف يمثل محددا رئيسيا، ذلك أن الانتماء إلى خط نسب له مكانته لدى الناس عامل مهم في تكامل الشخصية الكاريزمية، إلا أنه "في غياب الشرف قد يكون العلم ولم لا الهذيان أو غير المألوف هو الذي يؤهل الشيخ للقيام ببعض الكرامات وبالغرابة"[27].

ولا تقوم للولي ولايته التي تعني فرض تبعيته إلا بوجود تابعين له والذين هم المريدون، حيث يلزمهم بقبول ما يلقيه عليهم من أفكار ومعتقدات وما يحدد لهم من سلوكات وطقوس عبر درجات من التربية الروحية والتزكية وبذلك "يسطر حياة مريديه تبعا لنسق من الأفكار والممارسات تزاوج تلك التي يستعملها رب الأسرة على وسط أسرته ونسبه"[28].

وبذلك يتحول الشيخ أو الولي الصالح إلى شخصية «مقدسة»، ويتحول ضريحه بعد مماته إلى مكان للبركة وتقام عليه زاوية أو مسجد أو قبة للزيارة والتبرك به، تمارس فيه الطقوس والشعائر والاحتفالات الدينية تعظيما للشيخ، كما يرث أبناؤه وحفدته من بعده هذه الرمزية الاعتقادية مستغلين إياها كسلطة روحية كلما أحسن توظيفها تمخضت عنها مكاسب وامتيازات مادية ومعنوية.

إن ظاهرة تقديس وتعظيم الأولياء والصلحاء كأشخاص لهم بركة ظاهرة قديمة، كما يشير إلى ذلك ادموند دوتي

---

[26]. كيلفورد غيرتز، "الإسلام من وجهة نظر علم الإناسة"، ترجمة: أبو بكر أحمد، دار المنتخب العربي، بيروت، 1993، ص:39.

[27]. رحمة بورقية، "الدولة والسلطة والمجتمع دراسة الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل بالمغرب"، ط 1، دار الطليعة، بيروت 1991، ص: 40.

[28]. عبد الله حمودي، "الشيخ والمريد" ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 3، 2003،، ص:122.

Edmond Douté "ظاهرة قديسة على الإسلام لا يمكن حصرها في شمال افريقيا، فقد عرفها البربر قبل الإسلام، تمثلت في تقديس السحرة والكهنة"[29].

مسألة أخرى لا تقل أهمية ترتبط بمفهوم الولاية تتجلى في هيمنة الذكور على هذا المجال، فلفظ الوالي يعني في الحقل السياسي مع تأسيس الدولة الإسلامية ما يطلق على الحاكم، وأصبحت الولاية تعني جهة إدارية تمارس عليها سلطة الوالي، الدلالات المتعددة التي اتخذها مفهوم الولاية ظلت مرتبطة بالرجل وسلطته[30]، وعليه تظل المرأة في مرتبة دونية تكرسها التصورات الدينية السائدة في المجتمع، والتي تنظر إليها من خلال صورة نمطية كجنس ناقص عقلا ودينا ونجس غير طاهر وإن استطاعت بعض النساء ولوج عالم الولاية والصلاح كما يشهد على ذلك التاريخ الإسلامي؛ إن ولاية المرأة ظلت محكومة "بخلفيات ذكورية صارخة، فالمرأة حين تصل إلى قمة الولاية وتنافس الرجل في الورع والتدين والصلاح فإن أنوثتها تختفي لتصبح رجلا (...)، إن الاختلاف الجنسي ظل حاضرا وبقوة في حقل الولاية الصوفية، والمعطى الفيزيولوجي بقي محددا لمكانة المرأة كجنس دوني أمام الرجل"[31]، فالمرأة مهما علت قيمتها الدينية وجاهدت من أجل الوصول إلى أعلى الدرجات، لا تستطيع الخروج من دائرة الإقصاء من بعض الوظائف الدينية والرسمية كالإمامة ودخول المسجد وإقامة بعض الشعار الدينية إبان فترة الحيض والنفاس كالصلاة والصوم؛ لذلك كان لقب الوالي حكرا على الرجال وبقي عالم القداسة ذكوريا بامتياز، والمرأة بسبب عدم طهارتها الدائمة لا تبلغ درجة الرجل في الولاية والصلاح.

ومن الأمور التي تدعم حضور الولي لدى الناس دعوته للجهاد ضد الأجانب المحتلين للثغور، فقد استمد هؤلاء سلطتهم الرمزية من فعل الجهاد الذي شكل الفعل العملي المؤطر لزعامتهم، وقد ساهم الاقتران بين الجهاد والصلاح في التصور الديني الإسلامي في جعل اكتساب الصلحاء للشخصية الكاريزمية حالة خاصة.

إن الولي الصالح له ملكات وقدرات أخرى تجلب اهتمام الآخرين إلى جانب فعله الجهادي، منها قدرته على علاج المرضى والكشف عن أسرار الناس ومساعدتهم في فك عقدهم وحل مشاكلهم والدعاء المستجاب... كما أن الولي سبب في تماسك الجماعة وقوتها الرمزية والمعنوية لعلاقته المباشرة مع الله، وبالتالي هناك تكامل بين البعد الديني (الجهاد والمعارف الدينية) والبعد الميثولوجي (الكرامات والخوارق) في سلوك الصلحاء، ما يمكنهم من فرض سلطتهم الرمزية وإخضاع الآخرين والتابعين والاستحواذ على عقولهم وقلوبهم، هذه الكاريزما الدينية التي تجمع بين الرأسمال الثقافي والرأسمال الكاريزمي إنما تجد مدلولها من القدرات الشخصية الخارقة والمواهب الذاتية حسب ماكس فيبر[32].

ارتبطت الولاية بالصحراء غالبا بقبائل الزوايا، فهذه الأخيرة وباحتكارها للمجال الديني فإنها جعلت من مجال

---

[29] – Edmond Douté « Note sur l'Islam maghrébin », éditeur, Paris, 1900, p : 18.

[30]. رحال بوبريك، "بركة النساء «الدين بصيغة المؤنث»"، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2010، ص:21.

[31]. نفسه، ص: 19/18.

[32] – Max Weber, « Le Savant et Le polotique », Paris, 1959, p:102.

المقدس أداة سلطة من نوع آخر، سلطة رمزية تمزج بين الثقل العلمي والحضور الرمزي في مواجهة سلطة القبائل السائدة قبائل حسان القائمة على القهر والتعسف وفرض المغارم، فسلطة الزوايا ترمز للعدل مقابل الظلم عند حسان المحاربين، وبهذا المعنى تتحول البركة إلى سلاح لمواجهة الطغيان.

والبركة هنا هي مجموع الصفات الخيرة التي تجعل الشيء يحدث في أصفى وأرقى حالاته وتتجسد في الأفعال والأماكن والأشياء، "فالولي يجعل المرضى يتكلمون ويحكي عن أخبارهم كما يمنع الناس من المرور قرب إحدى المقابر بدعوى أن المدفون فيها يصلي في ذلك الوقت، وينتج عن ذلك أن كثيرا من الناس آنذاك يغادرون عائلاتهم وأعمالهم لكي يسكنوا جوار ذلك الولي المعين ليحصلوا بذلك على بركته"[33]، فكل ما يتعلق بالولي الصالح يشتمل على البركة، وبذلك يحظون بمكانة متميزة في أوساطهم الاجتماعية فلا يتعرض أحدهم للأذية ولا تفرض عليه المغارم كما لا يرد له طلب، ومنهم من يكتسب الكرامات والخوارق كصلة مباشرة تمت بينه وبين الولي الصالح فيصبح وليا من أولياء الله الصالحين، "إن سلطة الولي تقوم على البركة، وهي بمثابة اعتقاد يخول لبعض الكائنات أو الأشياء قوة خارقة ـ من مصدر إلهي ـ مما يجعلها تحظى بقيمة رمزية وبفاعلية على مستوى الممارسات الاجتماعية الماورائية"[34].

ومن المظاهر الجلية لتجسد البركة لدى هؤلاء نجد ظاهرة "التازبيا"، وهي ظاهرة مشهورة بالصحراء تعبر عن ملكة رمزية هامة وهي "وقوع شر من طرف يد لا مرئية ناتج عن ظلم «ضعيف» أو «ولي» أو «زَاوٍ»، إنها التجلي السلبي للبركة، فقد تتجلى في خسارات رمزية أو الموت"[35].

تفصح شخصية الولي الصالح سيدي المختار الكنتي (ت 1226 هـ/ 1811م) وسيرته عن نموذج خالص لمفهوم الولاية بالصحراء ولأدوارها في مجال محكوم بالصراع ولحمولاتها الميثولوجية وتجلياتها السياسية والاجتماعية؛ فهو أحد الأعلام الكبار لقبيلة كنتة، وهي قبيلة منتشرة ببلاد مالي وموريتانيا والساحل الأطلسي، تعود بنسبها حسب الروايات المتداولة إلى عقبة بن نافع فاتح إفريقيا، كان لهذا الشيخ دور بارز في أن تصبح للقبيلة القيادة الروحية والدينية في كافة أرجاء بلاد السودان الغربي من خلال توظيف الطرق الصوفية، وهي حالة منتشرة بالصحراء حيث تبنت كثير من القبائل خاصة الزوايا لبعض الطرق الصوفية وعملت على نشرها، وإن كنا نظن أن الزعامة الروحية للقبيلة اكتسبتها من قوة توظيف واستثمار الجانب الأسطوري القائم على الكرامات والخوارق؛ وقد ارتبطت بقبيلة كنتة الطريقة القادرية حتى صارت رمزا لها وسميت في بعض الأحيان بالطريقة القادرية الكنتية المختارية البكائية نسبة إلى شيوخ القبيلة[36].

---

[33]. محمد دحمان، "الترحال والاستقرار بمنطقة الساقية الحمراء ووادي الدهب"، مطبعة كوثر برانت، الرباط، ط 1، 2006.، ص: 133/132.

[34]. سالم ليليا، "التحليل الإنقسامي لمجتمعات المغرب الكبير"، ضمن كتاب الأنثروبولوجيا والتاريخ، مرجع سابق، ص: 26.

[35]. محمد دحمان، نفس المرجع السابق، ص:134/133.

[36]. انظر بهذا الصدد: الطالب محمد البرتلي، "فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور"، تحقيق: محمد ابراهيم الكتاني و محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص: 31/30.

خلف الشيخ الكنتي العديد من الكتب والمؤلفات شملت مجالات عدة حيث ألف في الأدب والعلوم اللغوية والشرعية وفي التفسير وبلغت شهرته الآفاق فتجاوزت حدود الفضاء الصحراوي والسوداني، وهي ميزة هامة لدى الأولياء وتدخل في إطار الرأسمال الثقافي، يقول عنه البرتلي "بأنه القطب الرباني والغوث الصمداني، الولي الصالح ذو البركات الشهيرة وشيخ الأشياخ والسادات من ظهرت بركاته شرقا وغربا ومناقبه في الناس عجما وعربا، ساقي المريد، عمدة أهل التوحيد، شيخ المحققين، ومرجي المساكين أبو المواهب السنية صاحب الأخلاق المرضية ذو الكرامات الظاهرة"[37].

أما ما يتعلق بكراماته فقد وضع إبنه سيدي محمد الخليفة الكنتي (ت 1242 هـ / 1826م) مخطوطا يتحدث فيه عن صلاح وكرامات والديه بشيء من التفصيل، وهو من النصوص المناقبية المتخصصة في إبراز تصوف الصالحين والأولياء، يشمل مقدمة وسبعة أبواب خصص الباب الخامس لذكر كرامات وخوارق الشيخين الوالد والوالدة؛ ومن الكرامات التي أوردها عن والده قوله متحدثا عنه "أتاني الخضر رضي الله عنه ذات ليلة فقال لي ما عليك أن تطوف مشارف الأرض ومغاربها تطالع ما أودع الله تعالى فيها من ودائع قدرته وأبدع فيها من بدائع حكمته، فقال فمشينا ساعة فإذا نحن بمكة شرفها الله، فطفنا وقفنا بالمواقف كلها، ومررنا بالمدينة المشرفة فزرنا وصلينا بالمسجد الشريف، وزرنا من بالبقيع من الصحابة وأعيان السلف ثم طفنا بمشارف الأرض ومغاربها"[38].

تتضمن هذه الكرامة قدرة الكنتي على زيارة الأماكن المقدسة بصورة لا مرئية وهو ما لا يتحقق لبني آدم إلا من كان منهم على درجة عليا من الصلاح والولاية؛ تعكس إذن زيارة مكة والمدينة أو الحج في صيغته الرمزية مكانة الولي الصالح عند الله، لقد اصطفاه وقربه بأن منحه هذا الشرف، شرف الزيارة وجنبه أهوال السفر والطريق، إنها ميثولوجيا مغرقة في الدلالات الدينية يمكن توظيفها في استجلاب الزعامة الروحية وبالتالي الزعامة السياسية على قبائل المجال البيضاني، إنه مشروع الزعيم الجديد لكنتة سيدي محمد الكنتي السياسي المتمثل في «الإمامة الشرعية» وهو مشروع يعبر بجلاء عن تلك العلاقة الوطيدة بين الديني والسياسي في وعي الزوايا، "إذ أن إرادة الإمامة الشرعية الذي لازم الشعور الجمعي لقبائل الزوايا منذ شربة قد حاول سيدي محمد الكنتي ترجمته على التراب البيضاني (من خلال حروبه مع قبائل الساحل) ليواجه بمقاومة كبرى من قبائل أولاد أبي السباع والرقيبات"[39].

وقد حاول الكنتي الاستفادة من الطريقة القادرية كإيديولوجيا دينية استطاعت من خلالها كنتة فرض نموذجها الروحي والسياسي على المجال البيضاني والسوداني، فالطرق الصوفية شكلت أداة لتزويد القبيلة بالمريدين الذين تحولوا إلى أفراد من القبيلة، كما لعب الأصل دورا بارزا في تدعيم شرعية القبيلة في مشروع الإمامة، بهذا الصدد يقول بيير بونت حول أصول كنتة أنها "مغرقة في التصورات العربية الإسلامية المتعلقة بفتح عقبة بن نافع بلاد

---

[37]. نفسه، ص: 152.

[38]. محمد بن المختار الكنتي، "الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد"، تقديم وتحقيق: أرماك شفيث، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1992/1991، ص:395.

[39]. عبد الحميد فائز، "الحرب في المجتمعات الرعوية: آليات إنتاج العنف في المجتمع البيضاني قبل الاستعمار، مركز الدراسات الصحراوية، الرباط ، 2015، ص:174.

المغرب لغرض ربط هذه القبيلة بقريش، بيد أن هذا الربط يعد محاولة لتعريب الأنساب بالسمو عن الجذور الأصلية"[40]، وهكذا فقد تشربت الثقافة الرمزية بالصحراء من متون الفكر الميثولوجي خدمة لمشاريع الزوايا بإضفاء مسحة من القداسة لمشايخهم وأوليائهم، تغنيهم عن سلاح السيف بسلاح العلم والبركة في مواجهة أهل الشوكة وهيمنتهم وتجنب بأسهم.

خاتمة

نخلص في نهاية هذه الدراسة إلى اعتبار الميثولوجيا الشعبية بالمجال البيظاني، خاصة تلك التي ترتبط بالقداسة والمقدس، وسيلة تبريرية لإضفاء المشروعية الدينية والرمزية على مجموع التمثلات الاجتماعية السائدة خاصة تلك التي تهم الخط النسبي والاستحواذ الترابي من خلال تبني ايديولوجيا الشرف (المعقلي/الادريسي) مقابل الايديولوجيا الصنهاجية (اللمتوني/الكدالي) التي سادت إبان المرحلة المرابطية، إضافة إلى فرض النموذج الزاوي (نسبة إلى الزوايا ككيان قبلي) على المجال وخلق الهوية القبلية وتدعيم شرعية وجودها.

إن الممارسات الاجتماعية الماورائية، تعكس سلطة المقدس كسلطة رمزية تمزج بين المحتوى العلمي كما يظهر في التفسيرات الطرقية الصوفية والحضور المعنوي الذي تعبر عنه الدلالات الدينية كالولاية والصلاح والبركة وغيرها، مما سمح للشخصيات الدينية بتوظيف واستثمار الجانب الأسطوري القائم على الكرامات والخوارق خدمة للمشاريع الخاصة بقبائل الزوايا وتوطيد دعائمها في مجال محكوم بسيطرة حسان أهل السيف والشوكة.

مراجع البحث

- Claude Lévi-Strauss « Anthropologie Structurale deux » Plon Paris, 1958,
- Edmond Douté « Note sur l'Islame maghribin, les Marabouts », Editeur, Paris, 1900,
- Edmond Doutté « Magie et religion dans l'Afrique du Nord », Alger, 1909,
- Emile Durkheim « Les formes élémentaires de la vie religieuse », Livres de poche, Paris, 1991,
- Laura-Lévi Makarius « Le sacré et la violation des interdits », Payot, Paris, 1974, Préface,
- Max Weber « Economie et Société », Plon, Tom 2, 1995,
- Max Weber « Le Savant et Le polotique » Paris, 1959,
- Michel Tozzi Etal « apprendre à philosopher dans les lycées d'aujourd'hui », Hachette, 1992,
- Mircéa Eliade « Aspects du Mythe », Gallimard, 1963.
- Mircéa Eliade « Le sacré et le profane » Gallimard, 1965,
- Mircéa Eliade « Traite de l'histoire des religions » Payot, Paris, 1964,
- Paul Marty, « Les tribus de la haute Mauritanie », Publication : Comité de l'Afrique française, Paris, 1915,
- Pierre Bonte « L'Emirat de L'Adrar, Histoire et anthropologie d'une société tribale du Sahara Occidental », thèse du doctorat école des hautes études en sciences sociales, 1998.
- Roger Caillois, « L'homme et le Sacré », Gallimard, 1956,
- Tony Hodges « Sahara Occidental, Origines et enjeux d'une guerre du désert, Traduit de l'anglais par Dominique Koglo, L'Harmattan, 1983,

- خوليو كاربوروخا، "دراسات صحراوية"، ترجمة احمد صابر، مركز الدراسات الصحراوية، 2015،

[40] – Pierre Bonte « L'Emirat de L'Adrar ».op.cit. p : 176.

- أناس بن الشيخ وعبد الحميد فائز، "قداسة الأصول بغرب الصحراء" ضمن كتاب "بيير بونت: أنثروبولوجيا مجتمع غرب الصحراء"، مركز الدراسات الصحراوية، الرباط، 2017،
- بوعبيد الله البكري، "المسالك والممالك"، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003،
- حسن الوزان، "وصف إفريقيا"، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، 1983،
- حماه الله ولد السالم، "تاريخ بلاد شنقيطي"، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010،
- رحال بوبريك، "بركة النساء «الدين بصيغة المؤنث»"، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2010،
- رحمة بورقية، "الدولة والسلطة والمجتمع دراسة الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل بالمغرب"، ط 1، دار الطليعة، بيروت 1991
- سالم ليليا، "التحليل الإنقسامي لمجتمعات المغرب الكبير"، ضمن كتاب "الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي"، ليليا بن سالم واخرون، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر، ط 2، 2007.
- الطالب محمد البرتلي، "فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور"، تحقيق: محمد ابراهيم الكتاني و محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981،
- عبد الحميد فائز، "الحرب في المجتمعات الرعوية: آليات إنتاج العنف في المجتمع البيضاني قبل الاستعمار، مركز الدراسات الصحراوية، الرباط ، 2015
- عبد الله حمودي، "الشيخ والمريد" ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 3، 2003،
- كيلفورد غيرتز، "الإسلام من وجهة نظر علم الإناسة"، ترجمة: أبو بكر أحمد، دار المنتخب العربي، بيروت، 1993،
- محمد بن المختار الكنتي، "الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد"، تقديم وتحقيق: أرماك شفيث، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1992/1991،
- محمد بوزنكاض، "التأريخ وقضايا الكتابة التاريخية بالصحراء الأطلنتية"، نشر مركز الدراسات والأبحاث (مشاريع) 2012.
- محمد دحمان، "الترحال والاستقرار بمنطقة الساقية الحمراء ووادي الدهب"، مطبعة كوثر برانت، الرباط، ط 1، 2006.
- منور الدين الزاهي، "المقدس والمجتمع"، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2011،